عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:

١ «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلا تَظَالَمُوا.

٢ يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

٣ يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

٤ يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

٥ يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

٦ يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

٧ يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ.

٨ يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(٦٩).

(٦٩) رواه مسلم (٢٥٧٧).

آيات

- ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].
- ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٢].
- ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

الراوي

أبو ذَرٍّ، جُنْدُبُ بنُ جُنادةَ، وقيل: بريرُ بنُ جُندبٍ، الغِفاريُّ، الزاهد، الصادق، مِن كبار الصحابة وفضلائهم، كان يتعبَّد قبل مَبعث النبيِّ ﷺ ثلاث سِنين يقوم من الليل مصلِّيًا، أسلم بمكةَ في أوَّل الدعوة، وهو رابعُ مَن دَخلوا في الإسلام، خرج بعد وفاة أبي بكر ﷺ إلى الشام، فلم يزَلْ بها حتى وَلِيَ عثمانُ ﷺ، ثم استَقْدمه عثمانُ لشَكْوى معاويةَ ﷺ به، وأسكنه الرَّبَذة، فمات بها، وصلَّى عليه عبدُ الله بنُ مسعود ﷺ، تُوفِّي سنةَ (٣٢هـ)(١).

خلاصة

يُخبِر ربنا سبحانه أنَّه حرَّم الظُّلم على نفسه، ونهى عنه النَّاس، ثمَّ تودَّد إلى خلقه بأنه الهادي الرازق الغفور الرحيم، وبيَّن أنَّه لا يقدِر أحدٌ من خلقه على إضراره أو نفعه، وأخبر عن سَعة خزائنه التي لا تَنفَد أبدًا، وأنَّ ما يلقاه العبدُ إنما هو نتاج عمله، فليحسن امرؤٌ ما يدَّخره لآخرته.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعَيم (٢/ ٥٥٧)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٢٥٢)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٢١١).

يَروي النبيُّ ﷺ عن ربِّه تبارك وتعالى حديثًا قدسيًّا، وهو كلامُ اللهِ تعالى مثلَ القرآن الكريم، إلا أنَّه يختلِف عنه في أنَّ ألفاظَه من النبيِّ ﷺ ومعانيه من الله تعالى، بخلاف القرآن الذي هو كلامُ الله لفظًا ومعنًى، ولذلك فإن القرآن مُتَعَبَّدٌ بتلاوته، مُتَحَدًّى بكل سورةٍ فيه، بخلاف الحديث القدسي. فينبغي التفرقة بينهما.

١ يذكر ربنا تبارك وتعالى أنَّه حرَّم الظُّلم ومنعه عن نفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. ومقتضى ذلك ألَّا يَظلم الناسُ بعضهم؛ فإذا كان ربُّ العزَّةِ مالِكُ الدنيا والآخرة حرَّم الظُّلم على نفسه، فكيف بالمخلوقين؟!

وأعظمُ الظُّلْمِ أن يَظلم الإنسانُ نفسَه بالشِّرك والمعاصي التي تقوده إلى النَّار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

ثم دُونَه أن يظلِم الإنسان غيره من النَّاسَ ويأكل حقوقهم، ولهذا توعَّد اللهُ الظالمين بالنكال والعذاب المهين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقد أمر سبحانه بالعدلِ بين الناس جميعًا، المسلمين والكافرين، ونهى عن ظُلم الآخرين ولو كانوا أعداءَ الدين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

٢ ثم يُرشِد ربُّنَا تعالى عبادَه إليه؛ فهو خالقُهم ورازقهم ومالك أمرِهم، فجميع الخلق في ضلالٍ تامٍّ إلَّا مَن هداه الله تعالى ووفَّقه وأنار طريقه؛ فإنَّ الله تعالى أرسلَ الرُّسُلَ لهداية الخلقِ إليه، فمن أراد به خيرًا وفَّقه لقَبول ما جاءت به الرُّسُلُ، فالمهتدي من هداه الله تعالى ووفَّقه وثبَّت على الحقِّ قدمه، ولهذا أمرهم سبحانه بأن يسألوه الهداية(٧٠).

وليست الهداية مقتصِرةً على التوفيق لقبول الإسلام والدخول فيه، بل شامِلة لمعرفة أحكامه وشرائعه، والانقياد لِما جاء به النبيُّ ﷺ من الأوامر والنواهي، ولهذا أمر الله عباده المؤمنين أن يُرَدِّدوا في الصلوات: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦](٧١).

٣ ويذكر سُبحانه كذلك أنَّ جميع الخلق مفتقِرٌ إليه في الرزقِ كما هم مفتقرون إليه في الهداية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ

(٧٠) ينظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم» للقرطبيِّ (٦/ ٥٥٢- ٥٥٣).
(٧١) ينظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٤٠).

ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[الذاريات: ٥٨]، فلولا جودُه وكرمُه وسعةُ رزقه لَجاع الخلقُ جميعًا ولَمَا وجدوا ما يَستر عوراتهم، فلا يظُنَّنَّ غنيٌّ أنَّ الذي في يده من المال هو نتاجُ جهده وعلمه، وإنما هو فضلُ اللهِ يؤتيه مَن يشاء، ولذلك أَمَر اللهُ الخلقَ أن يطلبوا منه الطعام والشراب والكساء يطعمهم ويَسقيهم ويَكسوهم.

٤ ثم يَتودَّد سبحانه وتعالى إلى عباده وأنَّه يغفِر الذنوبَ جميعًا، وأنَّهم أحوجُ الناسِ إلى مغفرته مع مَعصيتهم ومُداومتهم على الذنوب ليلًا ونهارًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣]، وقد أخبر ﷺ أنَّ الله تعالى يَبْسُط يَدَه بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النهارِ، ويَبْسُطُ يَدَه بالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ الليل، حتَّى تَطلُعَ الشمسُ مِن مَغرِبِها(٧٢).

٥ ثم أخبر سبحانه أنَّه القويُّ المالكُ المهيمن، فلا أحد يَستطيع أن يوصِل إليه ضُرًّا أو نفعًا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران: ١٧٦ - ١٧٧].

٦ ودلَّل سبحانه على أنَّه أغنى الأغنياء، وأنَّ طاعةَ العباد جميعًا لا تنفعه، كما أنَّ مَعصيتهم جميعًا لا تضرُّه، ولا يؤثر ذلك في مُلكه سلبًا أو إيجابًا؛ فلو كان إيمانُ الإنسِ والجِنِّ جميعًا كإيمانِ النبيِّ ﷺ ما زاد ذلك في مُلك الله شيئًا، ولو كان كُفرُهم وفجورهم على مثل كُفر إبليس لَعنه الله ما نقَص ذلك من ملك الله شيئًا؛ قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[العنكبوت: ٦].

٧ ثم يَصِف سبحانه عظيم فضله ونِعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، فيذكر أن جميع الخلائق منذُ خَلَق اللهُ السماواتِ والأرضَ إلى أن تقوم الساعةُ لو قاموا جميعًا في أرضٍ واحدة، فدعا كلُّ واحدٍ منهم ربَّه بما يُريده من العطاء والرزق، فأعطاه الله تعالى ما يريد، ما أثَّر ذلك في مُلك الله شيئًا، وما نقَص ذلك من فضله وخيره، وضرَب لذلك مثلًا؛ فصوَّره بالإبرة إذا أُدخِلت في البحر، أفتراها تَنقُص من مائِه شيئًا؟! فكذا فضلُ اللهِ تعالى لا آخِرَ له.

٨ ثم أخبَر سبحانه وتعالى أنَّ عاقبةَ الإنسانِ متوقِّفةٌ على عمله، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يكتب علينا أعمالنا ثم يجازينا عليها، فمن وجَد يومَ القيامةِ خيرًا أعدَّه الله تعالى له، فلْيَحمَد الله أنْ هداه للإيمان ووفَّقه لفعل الخير، وإنْ وَجَد شرًّا فإنما هو حصادُ عملِه، فهو المَلوم المؤاخذ، فلا يلومَنَّ إلا نفسه.

---

(٧٢) برقم: (٢٧٥٩)، عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

اتباع

١ أعظمُ الظُّلم وأشنعه أن يَظلم الإنسانُ نفسَه فيورِدَها النار بكُفْرِهِ بالله تعالى، والوقوع في الشرك.

٢ على العبدِ أن يسأل ربَّه دومًا الهدايةَ والرزقَ؛ فذلك بيَدِ الله وحده، وهو يُحبُّ أن يسمع دُعاء عبده.

٣ بيَّن الحديثُ مدى فَقرنا واحتياجنا لله تعالى، وأنَّنا عراةٌ جياعٌ ضالُّون إلا بفضله سبحانه، فينبغي علينا التواضع وعدم التكبُّر على الناس.

٤ على المسلم أن لا يغتر بطاعته ولا عبادته، أو أن يظن أن الله بحاجة إليها؛ فهو سبحانه غنيٌّ عن العالمين.

٥ في قوله: «إنكم تخطئون بالليل والنهار» تبكيتٌ ولومٌ منه سبحانه لخلقه؛ فإنَّه إنَّما خلقهم ليطيعوه، وجعل الليل والنَّهار ليتعبَّدوا فيهما له سبحانه، ومع ذلك فإن العبدَ يتجرَّؤُ على ربِّه تبارك وتعالى بمعصيته ليلًا ونهارًا؛ فعلَى العبدِ المسلمِ أن يُقبِل على الله تعالى، وأن يملأ يومَه وليلَه بالذكر والتسبيح والصلاة وسائر أصناف العبادات.

٦ أخبرَ جلَّ جلالُه أنَّه حرَّم الظُّلْمَ على نفسه، وهو الملكُ القاهرُ المُدَبِّرُ لأمر السموات والأرض، فإذا كان سبحانه حرَّم الظُّلْم على نفسه، وهو الذي لا شريك له في ملكه، ولا يؤاخذه أحدٌ على ما صنع؛ فكيف بالعبدِ الفقيرِ الضعيفِ الذي يعلم أنَّ ربَّه الذي إليه مرجعه وحسابه نهاه عن الظُّلم؟

٧ أرشد ربُّنا سبحانه وتعالى إلى كثرة الاستغفار والمداومة عليه؛ فإنه تعالى يعلم ضعفَنا وعجزَنا أمام المعاصي والشهوات، ولذلك أمرنا أن نسارع في الاستغفار ليَغفِر لنا.

٨ دلَّ الحديث على عظيم فضْل الله تعالى وسَعة كَرَمه، فلا ينبغي للمسلم أن يُفَرِّط في دعاء الله تعالى أن يرزقه من واسع فضله وعطائه، فإن ما عند الله لا يَنقُص ولا يَنفَد؛ كما قال ﷺ في الحديث الآخر: «يَدُ الله ملأى لا يَغِيضُها نفقةٌ، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ؛ أرأيتُم ما أنفق منذ خلق السمواتِ والأرضَ؛ فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه»(٧٣).

٩ على العبدِ إذا فعل الطاعات أن يُسنِد ذلك إلى الله تعالى، ويحمده على هدايته وتوفيقه، ولا يَنسُب ذلك إلى نفسه، فتَتعاظم نفسُه وتصغُر نعمةُ الله في عينيه.

---

(٧٣) رواه البخاريُّ (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

١٠ دلَّ الحديث على أن اجتماع الناس في مكان واحد لدُعائه أقرب وأفضل من تفرُّقهم، ولهذا شُرعت صلاة الاستسقاء والكسوف ونحوها جماعةً لحصول المقصود.

١١ ضرْبُ الأمثال من الأساليب الفاعلة في الدعوة إلى الله، وتعليم العلم، ومن ثَمَّ ينبغي للمعلِّم والمربِّي أن يقرِّب المعانيَ المعقولةَ لأذهان الناس بضرب الأمثال المحسوسة القريبة إلى أفهامهم(٧٤).

١٢ الاقتداءُ بالمربِّي والمعلِّم خيرُ وسيلة؛ فإذا أراد الْمُرَبِّي أن يغرِسَ في نفوس أبنائه فضيلةً ما، فإنه يجب أن يتحلَّى بها أولًا، ولهذا قال الله: «إني حرمتُ الظلمَ على نفْسي».

قال الشاعر:

أمَـا واللهِ إنَّ الظُّلـمَ لُـؤْمٌ ولكـنَّ المـسيءَ هـو الظَّلُـومُ
الى ديَّـانِ يـومِ الدِّيـنِ نمـضي وعنـدَ اللهِ تَجتَمِـعُ الخُصـومُ

وقال غيره:

لا تَسْـأَلَنَّ بُنَـيَّ آدَمَ حَاجَـةً وَسَـلِ الَّـذِي أَبْوَابُـهُ لَا تُحْجَـبُ
اللهُ يَغْضَـبُ إِنْ تَرَكْـتَ سُـؤَالَهُ وَبُنـيُّ آدَمَ حِـينَ يُسْـأَلُ يَغْضَـبُ

(٧٤) انظر: «شرح رياض الصالحين» لابن عُثيمين (٢/ ٤٣٣).